ⵜⴰⵎⴰⵢⵜ ⵖ ⵓⴼⵜⴰⵙ ⵏ ⵜⵉⵖⵔⵉ

Fatima Faiz

tamayt

g uftas n tayri

tullisin d ibrzzuyn n tirra

Publications Tirra, alliance des écrivains en amazigh
منشورات رابطة تيرا للكتاب بالأمازيغية

ⵀⵓⴻⴹⵔⵓ ⵀⵓⴹⵣ

Fatima Faiz

ⵜⵓⵔⵓⵙⵜ ⵅ ⵖⵀⵜⵓⵙⵏ ⵜⵓⵙⵓⴻ

Tamayt g uftas n tayri

قصص قصيرة جدا

ⵜⵖⵙⵙⴹⵔⴹⵍ

Micronouvelles

Auteur: Fatima Faiz
Titre de l'ouvrage: tamayt g uftas n tayri (Micro-nouvelles)
Numéros de dépôt légal: 2019MO5590
ISBN: 978-9954-655-15-3
1èreEdition: 2019
Imprimerie centrale de Souss- Ait Melloul

تقديم

القصة القصيرة في الأدب الأمازيغي بالمغرب جنس حديث وجديد لم يظهر إلا في أواخر السنوات الثمانين من القرن الماضي، وأول مجموعة قصصية مطبوعة ومنشورة هي "إماراين" لحسن إد بلقاسم سنة 1988، وأقدم نص في المجموعة ترجع كتابته إلى سنة 1975 (نص أگبور)، وكانت بداية هذا الفن - ككل بداية- ملتبسة ومثقلة بالمصاعب، فولادته من جهة مرتبطة بنشأة الوعي الأمازيغي الحديث، فهو بمثابة المعادل الفني والجمالي لهذا الوعي، الشيء الذي جعله أداة من أدوات خدمة الثقافة الأمازيغية، ومجرد وسيلة لإثبات قدرتها على الانتاج الأدبي الحديث، ومن جهة أخرى كان متداخلا مع بعض أشباهه في التراث الأمازيغي الشفوي وخاصة الحكاية الشعبية بأنواعها وأشكالها.

ومع الاصرار على الاستمرار في الكتابة القصصية وتراكم المحاولات والتجارب، انطلقت مرحلة جديدة قوامها التشييد والتجديد والبحث الدؤوب عن الهوية الفنية لهذا الجنس الأدبي الوليد، وكان ذلك في نهاية القرن الماضي وبداية الألفية الحالية، بعد حصول الأمازيغية على الاعتراف الرسمي وما تلى ذلك ونتج عنه من أعمال وإجراءات رسمية وغير رسمية، من قبيل تأسيس المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بالرباط، ودمج اللغة الأمازيغية في جزء من التعليم الابتدائي، وتأسيس شعب ومسالك للغة الأمازيغية وآدابها بسلك الاجازة والماستر ببعض الجامعات، ودسترة اللغة الأمازيغية، وتأسيس رابطة "تيرّا" للكتاب باللغة الأمازيغية بأگادير وهي بمثابة اتحاد جهوي للكتاب ...

في هذه الظروف الجديدة ستتراكم الأعمال القصصية المكتوبة باللغة الأمازيغية والتي فاق عددها لحد كتابة هذا التقديم المائة والثلاثون عملا قصصيا، وستتجه نحو التجديد والتجريب

والاهتمام أكثر باللغة والأساليب وتقنيات الجنس القصصي. وفي خضم هذا التجديد ونتيجة له، وفي سياق أدبي عالمي يمتاز بهدم الحدود بين الأنواع والأجناس ظهرت القصة القصيرة جدا في الأدب الأمازيغي الحديث. والمجموعة القصصية قيد التقديم لفاطمة فائز اتّخذت نصوصها شكل القصة القصيرة جدا.

بعد نشرها لثلاثة دواوين شعرية باللغة الأمازيغية هي: "تاندرا ن واكال" (أنين الأرض) سنة 2012، و"أسدي ن إغد" (عش من رماد) سنة 2014"، وأنگمار ن إتران" (صائد النجوم) سنة 2015، ومجموعة قصصية بعنوان "ؤدماوْن" (وجوه) سنة 2018، تصر فاطمة فائز على الاستمرار ومواصلة الكتابة الأدبية والاخلاص للإبداع من خلال عمل جديد يراهن بشكل كبير على التجديد على مستويات عدة.

وقد سلكت فاطمة فائز في تجربتها الابداعية مسالك فنية وبنائية متعددة، لكن ما يوحدها هو الميل إلى التكثيف والاختزال والتخلص من ثقل التفاصيل، وهو ما تعمق بشكل كبير في مجموعتها الجديدة، حيث الاستغراق في الاختصار إلى أبعد مدى، فالذات المبدعة تتطلع إلى الامساك بلب القضايا وجوهر الأشياء، في إشارات وإيماءات رمزية شديدة الاختزال.

"تامايت گ ؤفتاس ن تايري" (عبادة على مرفأ العشق) هو عنوان هذه المجموعة القصصية التي نحن بصدد التقديم لها، وهو عنوان يتمكن من شد القارئ إليه منذ اللحظة الاولى، ويستثير لديه الرغبة في مواصلة القراءة ويفتح له شهية الافتراض والتأويل. وبحجم الأسئلة التي تثيرها مكوناته والعلاقة بينها بحجم الاطمئنان إلى العوالم المفترضة التي تتحرك فيها نصوص المجموعة، والتي تختصرها كلمة "تايري" أي الحب والعشق التي يمكن أن تكون مفتاحا للقراءة. لكن كلمة "تايري" في العنوان تتعالق مع كلمة أخرى هي "تامايت"

(عبادة) وإلى جانبهما كلمة 'أفتاس" بمعنى المرسى والمرفأ. فما علاقة الحب/ العشق بالعبادة/ الدين، وما الذي يختزنه هذا التعالق؟ وكيف تجلت امتداداته في نصوص المجموعة وقضاياها وهمومها؟.

يبدو أن هذا التعالق لم يرد اعتباطا، بل يعبر عن تصور يتعمد المفارقة ومخالفة المألوف، خصوصا إذا عرفنا أن الحب يعتبر من التيمات الأكثر ورودا في الآداب عموما، واستأثر بمساحات شاسعة في السرد الروائي والقصصي، وفي كثير من الأحيان يكون مصير هذه القيمة الانسانية هو الوأد والانهزام لأسباب عدة من بينها التعاليم الدينية وما يرتبط بها من تقاليد وأعراف محافظة.

وربما الاستثناء الذي ينبغي الاشارة إليه في هذا السياق يمثله المتصوفة في تناولهم لموضوع الحب والعشق وتصورهم له، وكان القاصة هنا تنتصر ضمنيا لهذا الاستثناء.

فالحب مثله مثل الدين من الغرائز الفطرية الضرورية عند الانسان، فكما لا يُتصور إنسان يعيش بدون تدين، لا يمكن تصوره بدون حب وعشق، وبالرغم من أن الحب والدين بحران مليئان بالغموض والأسرار، فكليهما يبحثان عن شاطئ الأمان وطوق النجاة، وعن مرفأ آمن لصفاء الحياة والعيش وسكينة الروح.

ذلك بعض ما ينبئ به عنوان المجموعة الغني والمفتوح على تعدد القراءات والتأويلات، فماذا عن متن المجموعة ونصوصها؟

يتشكل المتن القصصي في المجموعة من اثنين وسبعين نصا قصصيا قصيرا جدا، فضلت الكاتبة تسميتها بالرسائل، وتنهض أغلب النصوص على موضوع رئيسي هو الحب والعشق باعتباره جوهراً ينضح بالعواطف والانفعالات، وهو ما يفصح عنه معجم النص بوضوح، فالحقل المعجمي الدال على الحب والعشق هو المهيمن، فكلمة "تايري" على سبيل المثال وردت أكثر من ثلاثين مرة، و كلمة "ؤول" أكثر من خمسين مرة، ولفظ 'تاسا" تكرر عشرون مرة.

وفي الآن نفسه وإلى جانب تيمة الحب والعشق وبتشابك معها أحيانا، تطرح المجموعة بعض الهموم الاجتماعية، وتتناول عدة قضايا وجودية وأخرى مرتبطة بالوطن والتاريخ وبالتربية والتوجيه، فضلا عن احتفاء العديد من النصوص بالقيم الانسانية المختلفة.

النصوص التسعة الاولى في هذه المجموعة كلها تستدعي القصص الديني (قصص: آدم وحواء، ونوح، وإبراهيم، وأيوب، وداوود، وبلقيس مع سليمان، ويوسف، وموسى، وعيسى) ولعل ما يوحد هذا الاستدعاء هو الانطلاق من رؤية فكرية تعيد قراءة ما استقر عليه الظن وما شاع في السرديات الدينية، وبحس فني يحتفي باللغة والأساليب.

القصة / الرسالة الاولى وظفت قصة آدم وحواء، فالذات الشاعرة هي آدم، وبضلعها 'غير المعوج' نبتت بذرة العشق ونمت وغرست جذورها في السماء ونثرت أزهارها في الأرض، وهذا التوظيف لا يخلو من مفارقة، فإذا كانت قصة عشق آدم وحواء كما ترويها بعض السرديات الدينية وتحكيها بعض آثار السابقين تجمع بين شدة التعلق والتوافق والوصال وبين الحزن بسبب عدم احترام الأمر والوقوع في الخطيئة وخرق المحظور، فهي في هذا النص القصصي تصب في تأكيد فكرة تحقق العشق والألفة والوصال والتجذر، ومن ثمة تدشين الرحلة الوجودية للعشق والدين معا. وتدشين المتن القصصي لهذه المجموعة.

وفي القصة/الرسالة الثامنة تحضر قصة موسى بشكل جمالي وفني أخاذ، فالذات الشاعرة هي موسى والعشق هو العصا التي تتوكأ عليها الروح، والوشاة حيات تسعى لإبعاد العاشق عن معشوقه.

وإذا تجاوزنا النصوص التسعة الاولى التي يحضر فيها القصص الديني، فإن الحب والعشق في المجموعة يتخذ أشكالا متعددة

ويتجلى باعتباره مزيجا من المشاعر المختلفة، كاللذة والألم، والشغف والحنين واللقاء والوصال، والحرمان، والعتاب، والأمل ...، ومن أمثلة هذه الصور:

- ثنائية اللذة والألم: نجد في العديد من نصوص المجموعة أن العشق تختلط فيه اللذة بالألم (نصوص 25، و 42، و 44 و 45..)، فلذة الحب تمتزج بالألم، وألمه يمتزج باللذة، وألم العاشق هنا مصدره الحرمان، وأحيانا يتألم بسبب اللذة والخوف من زوالها.

- الاعتلال والكمد الذي يوشك إن يؤدي للهلاك: يرد هذا المعنى بصيغ متعددة في العديد من رسائل المجموعة (نصوص/ رسائل: 21 و22 و50 و53 و61..)، ويبدو أن هذه الصورة تمتص جوانب من العشق الصوفي، حيث يكون الاحتراق دليلا على التقرب من العاشق، والموت في المحبوب بمثابة ميلاد جديد.

- الدواء والخلاص: المصدر هو العشق والأفق هو العشق أيضا لكن الصورة تختلف، فإذا كان في الصورتين السابقتين مرادفا للألم والوجع والاحتراق والذوبان، فهو هنا بمثابة المخلص والترياق المداوي، فمن عين الحبيب ينبلج الأمل (الرسالة 37)، ومن فمه تنبعث الروح كلما ذكر المحبوب (الرسالة 40)...

- التعلق والوصال إلى حد التملك: ويبدو أن هذه الصورة هي المهيمنة على الأقل من الناحية العددية والاحصائية، ومن نماذج النصوص/ الرسائل التي تمثلها: 16 و 18 و19 و22 و41 و58 و60 و62 و63...، وفيها نتحدث عن مفهوم العشق بالمعنى الاصطلاحي للكلمة، حيث تعمق فيها الحب واتجه نحو الامتداد والتوحد.

وأشكال الحب والعشق وتجلياته هاته وغيرها مما ورد في ثنايا نصوص المجموعة، لا يقتصر تناولها على الذات الشاعرة في خصوصيتها فحسب، بل يتصل بالإنسان ككل في تجربته الوجودية.

ومن المواضيع التي تناولتها القاصة ما يرتبط بالذاكرة والتاريخ والماضي، ويمكن أن ندرج ضمن هذا الاهتمام ربطها لكثير من صور الحب والعشق بالزمن البدئي وبذاكرة التدين الانساني وبالقصص الديني.

والماضي عموما وما يتصل به من ذاكرة وتاريخ يمثل في المجموعة القصصية الحضن والملاذ. فبالذاكرة نحيا في حاضرنا (في الصبا نزرع الذكريات، وفي المشيب نحصدها وبها نحيا) النص/ الرسالة 38. وماضينا التاريخي والحضاري هو بلسم شافٍ لكثير من مآسينا الحاضرة (لمحت الماضي/ التاريخ يبتسم لي، كوميض برق يضيء عتمة ليلنا) النص/ الرسالة 70، لذلك نجد القاصة تحرص على تلقين هذه المبادئ للناشئة، ففي النص/ الرسالة 39 توجه الخطاب لابنها بضرورة التشبث بحضارتنا وتاريخنا وأمجادنا لأنها المعبر القوي نحو المستقبل، وهي منبع أنَفتنا.

وفي هذا المسار التوجيهي والتربوي الأخير سارت الكثير من النصوص، وكلها تخاطب الابن رمز الجيل الآتي، وهي على شكل توجيهات ووصايا ونصائح، توصي الابن/ الجيل الحالي بالتحلي بالقيم الفاضلة والابتعاد عن كل أنواع الحقد والضغينة (الرسالة 71)، وألا يبيع مبادئه وقيمه مهما كانت الظروف لأن التاريخ لا يرحم، فكما تدين تدان والجزاء من جنس الفعل (الرسالة 68).

وتجدر الاشارة إلى أن الابن ببعده الواقعي الحقيقي وبدلالاته الرمزية يحضر بكثافة في نصوص الأديبة فاطمة فائز، ويكاد يتكرر في كل أعمالها بالدلالة نفسها أو برمزيات متقاربة، وفي هذه المجموعة يدل على الأمل واليقين في المستقبل وفي غد مشرق مهما

كانت أوجاعنا ورداءة واقعنا (بني، كصفاء روحك، سيصفو المشوار، ولو التحف نهارنا السواد... - الرسالة 48).

مع التنويه إلى أن كاتبتنا لا تسقط في المنبرية والوعظ والتوجيه المباشر، بالرغم من أن طبيعة الموضوع قد ترغمك على ذلك، بل تحرص على انتاج نص أدبي قصصي جميل قائم على مقومات خطابية ولغوية وأسلوبية.

ولعل مما ينبغي التنصيص عليه كذلك في هذا السياق أن صورة الابن/ الطفل ورمزيته تنسجم إلى حد كبير مع رؤية الكاتبة سواء في هذا العمل القصصي أو في الأعمال السابقة، فرؤيتها غالبا متفائلة، تتوق للتحرر والانتصار وتبشر بمستقبل باسم رغم الأوضاع المزرية لواقعنا.

بالإضافة لما سبق يطرح هذا العمل العديد من القضايا الأخرى ذات طبيعة واقعية واجتماعية وفلسفية ووجودية، ويفيد هذا أن الكاتبة لم تسجن إبداعها داخل موضوع واحد، بل تعمدت تنويع المواضيع والقضايا، بالرغم من أن الموضوع المهيمن يتصل بالحب والعشق، لكن في صور وتجليات متعددة كذلك، فهناك حب الوطن، وحب القيم، كقيم الحرية والأخوة والمحبة والعدالة والتضحية...، أي أن عشق الآخر المحبوب يمتزج بحب الأرض والوطن والقيم والتاريخ والذكريات.

وسيكتشف القارئ أن هذا الشق الوجداني في نصوص المجموعة قوي جدا ويهز الكيان من الأعماق ليصل لنشوة الإشراق، ولم تمنع قصر النصوص من تحقق هذا الاشراق السردي، لأنه قصر يعتمد التكثيف. وصدق النفَري لما قال: 'كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة'.

محمد أفقير

كلية الآداب- جامعة ابن زهر